الجهاد : "الحقيقة الغائبة "

د.عصام دربالة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) "آل عمران : ١٠٢" . (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) "النساء: ١" (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا

قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)) "الأحزاب : ٧١"

وبعد،

في لهيب أتون المواجهات المتفجرة في أماكن عديدة من عالمنا الإسلامي تشتد الحاجة في معرفة حقيقة الجهاد التي غابت عن عقول بعض أبناء الإسلام بفعل جناية المخطئين فيه أو نتيجة لعبث المبطلين الساعين لحذفه من عقل الأمة وشريعة الإسلام.

ومن هنا تأتي أهمية هذا الكتيب الذي يسعى عبر صفحاته لإبراز معاني تلك الحقيقة الغائبة لذروة سنام الإسلام.

ونسأل الله تعالى أن يجعل تلك السطور عونا لكل راغب في جهاد يرضي الرحمن ويحقق أهداف الإسلام.

والله الموفق والهادي إلى صراطه المستقيم.

(رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).

المؤلف عصام دربالة

نظرة الإسلام للحرب

لم يغفل الإسلام عن أنه دين جاء لينظم حياة البشر لا الملائكة، البشر بكل نزعاتهم الخيرة وأيضا الشريرة.

لم يحلق الإسلام في سماء الخيال متطلبا سموا بشريا لا ينال للصبر على الظلم والكف عن الإنتصار من العدوان ولم يوغل في المثالية ويطلب من الناس إدارة الخد الأيسر ليتلقى لطمات المعتدي بعد أن يفرغ من خدهم الأيمن فهذا ضد الفطرة ومناف للمنطق ومستعص عند التطبيق.

ولم يكن الإسلام يوما كأولئك الذين يمارسون أبشع الحروب ويتفننون في القتل والتنكيل والذبح والتدمير وهم يترنمون بأن دعوتهم هي دعوة المحبة والحرية والإخاء والسلام.

كان الإسلام واقعيا في رؤيته لحقائق الحياة والنفوس والاجتماع الانساني وما

قد تحفل بها من صراعات ونزاعات وما قد ينجم عنها من حروب ؛ فالإسلام نظر إلى الحرب في ذاتها كأمر تدعو إليه طبيعة الاجتماع البشري فلم يحاول إنكارها ، ولا أن يعارض مقتضيات النظر فيها ، ولكنه اعترف بها كوسيلة لابد منها لدفع العدوان وتقليم أظافر الطغيان ، وكبح جماح المفسدين.

اعترف الإسلام بالحرب لأنه يعلم أن طبيعة البشر وسنة الاجتماع كثيرا ما تفضيان إلى التنازع والبغي والتنكر للحق والاعتداء على الحريات والفتنة في الدين، والإسلام شريعة عملية إصلاحية لا تغمض عينيها عن الواقع ولا تسترسل وراء الخيال، ولو لم يقرر الإسلام الحرب ويعترف بها لتكون وسيلة من وسائل المقاومة ودفع العدوان وإزالة العقبات من طريق دعوته إلى الخير العام لقضت عوامل الشر والفساد التي يؤازرها دائما قوى الطغيان والعنادعلى هذه الدعوة وهي في مهدها ولحرمت الإنسانية أن تجتني ثمراتها الطيبة في معاشها ومعادها قال تعالى (وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) "البقرة : ٢٥١" وقال تعالى (وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كثيرا) "الحج : ٤٠".

جاء الإسلام بالجهاد - إذن - ؛ لدفع تلك الأخطار وتجاوبا مع هذه الإعتبارات ومقدما للكون أنموذجا جديدا لم يكن مألوفا لديه.

فلقد اعتاد الكون على حرو البطش والتنكيل التي تعلي منطق الظلم والبغي والعدوان ففوجئ بنموذج جديد يعتمد منطق العدل الممزوج بالرحمة والسماحة والإحسان وكانت المفاجأة الإضافية أن ذلك النموذج السابق يأتي من أقوام كان يقول قائلهم :

و إنا المانعون لمـــــــا أردنا و انا النازلون بحيث شيــنا

ونشرب إن وردنا الماء صفواً ويشرب غيرنا كدرا وطـــينا

لنا الدنيا ومن أمسى علـــيها و نبطش حين نبطش قادرينا

بغاة ظالمين ومـــــا ظلمـــنا ولكنا سنبدأ ظالـــــــمينـــا

إذا بلغ الرضيع لنا فطامـــــا تخر له الجبابر ساجدينـــا

حقيقة الجهاد بين المخطئين والمبطلين :

ورغم وضوح الفارق بين مفهوم الجهاد في الإسلام ومفهومه لدى المتأخرين الا ان هناك من يطمس معالم هذا المفهوم تارة عن سبق إصرار و ترصد لدى البعض وتارة في غمرة الحماس والغضب والثورة عند آخرين .وسواء كان طمس معالم الجهاد يأتي من قبل المبطلين له أو من قبل المخطئين فيه فإن النتيجة واحدة وهي تقديم مفهوم مغلوط عن حقيقة الجهاد في الإسلام قد يترسخ مع استمرار شبهات المبطلين وتتابع أخطاء المخطئين . ومن هنا لزم البيان والتوضيح لتلك الحقيقة الغائبة للجهاد عن هؤلاء وأولئك .

الجهاد ... الحقيقة الغائبة

لأنه ما من أمة من الأمم إلا وهي لا تستغني عن الجهاد ، فقد لبى الإسلام تلك الحاجة بقول النبي الكريم : (الجهاد ماض منذ بعثني الله الى ان يقاتل

اخر امتى الدجال) ومادام الجهاد حقيقة واقعة وقائمة إلى يوم القيامة فيجب إبانة معالم تلك الحقيقة بما يكشف عن مقصدها ويوضح معناها وجوهرها ، فالجهاد في الإسلام له مقصد نبيل ، ومعان متعددة وضوابط جازمة حكيمة وجزاء عظيم وأجر جزيل .

ولنتناول حقيقة الجهاد عبر النقاط الآتية :

أولا : للجهاد معان متعددة :

وانه لمن الظلم البين حصر معنى الجهاد في سبيل الله في مباشرة القتل والقتال وامتشاق الحسام في وجه الخصوم فمفهوم الجهاد أشمل من ذلك وان كان بالضرورة يدخل في معناه مجالدة الأعداء .

وان كنا لا نتفق مع من يقدم لنا مفهوما للجهاد ومحذوفا منه القتال فنحن أيضا لا نتفق مع من يذهب إلى عسكرة الجهاد فالتأمل في الدلالة اللغوية والشرعية للجهاد في سبيل الله لابد وأن ينتهي إلى أنه يشمل معاني عديدة متنوعة على حد تعبير ابن رشد .

ـ فالجهاد لغة مأخوذ من الجهد والتعب وشرعا من المبالغة في إتعاب النفس في ذات الله تعالى و إعلاء كلمته التي جعلها الله تعالى طريقا إلى الجنة وسبيلا إليها وبذل الجهد في إقامة المجتمع الإسلامي ، وبذل الجهد بالمال هو نوع من أنواعه .

ومما يدل على اتساع معنى الجهاد وتنوع مدلولاته أحاديث عديدة لم تقصر معنى الجهاد على القتال فحسب ومن هذه الأحاديث ما رواه أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : (جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم). و عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن رجلا سأل

النبي صلى الله عليه وسلم عن الجهاد فقال: (أفضل الجهاد كلمه عدل عند سلطان جائر) .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما من نبى بعثه الله فى أمه قبلي الا كان له من آمته حواريون وأصحاب ، يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تأتى من بعدهم خلوف يقولون

ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل) و جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذنه فى الجهاد فقال (أحي والداك ؟ ٌقال : نعم . قال : ففيهما فجاهد) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله) وأحسبه قال (كالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر).

ــ فهذه الأحاديث جعلت من ضروب الجهاد : الجهاد بالمال ، والجهاد باللسان والجهاد برعاية الوالدين من الضياع جنبا الى جنب الجهاد باليد . والقتال وبذل النفس و النفيس و من الطبيعي أن تتنوع أشكال الجهاد لتنوع الأعداء

فهناك جهاد الكفار والمحاربين باليد واللسان والقلب وجهاد الفساق باليد واللسان والقلب وجهاد الشيطان بدفع ما يزينه من شبهات وترك ما يزينه من شهوات.

ــ ثم هناك جهاد النفس لحملها على محاسن الأخلاق والترقي في مقامات

الإيمان والعلم والعمل بالأحكام وتنقيتها

من الخبائث وإذا ما نظر الى هذه الدلالات في ضوء قوله تعالى: (و اعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون ، به ، عدو أله و عدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف إليكم و انتم لا تظلمون) الأنفال .

ـ فلابد أن ننتهي إلي أن المقدمة الصحيحة لممارسة الجهاد بالنفس لإعلاء كلمة الله هي الإعداد الشامل لكل أنواع القوة على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتكنولوجية والإيمانية .

ـ وأي أمة تبغي النصر في الميدان لابد أن تكون قد جيشت قدرات الأمة عبر ممارسة الجهاد على مستوى التجديد الفكري والتقدم التكنولوجي والاقتصادي والسياسي والاجتماعي و الإيماني والإعلامي ، وإذا كان الجهاد في سبيل الله بالنفس في الأصل من فروض الكفاية ولا بتعين إلا في حالات محددة كاجتياح العدو لأرض الإسلام أو على من

يشهد القتال أو من عينه الإمام فهذا يعني أن الانشغال الأكبر للأمة سيكون من نصيب الجهاد بمعناه الشامل الذي يمكنها من بناء حصونها من الداخل لتصير أكثر مناعة وقدرة على مدافعة الأعداء وتحقيق الغايات .

ثانيا: الجهاد وسيلة من وسائل بلوغ الغايات الإسلامية النبيلة.

لم يكن الجهاد العسكري مرادا لذاته ، أو مقصودا في نفسه، فلم تأت الشريعة به لمجرد ازهاق أرواح المعاندين أو المعتدين ولكنه كان وسيلة لبلوغ الغايات الإسلامية النبيلة .

وكون الجهاد يندرج في عداد الوسائل لا الغايات يرتب أمورا عديدة بالغة

الأهمية :

فهو..**أولا:** وسيلة مراده لغاية محددة متى انتفت إمكانية بلوغها من خلاله امتنع اللجوء إليه .

وثانيا: انه ليس الوسيلة الوحيدة المتاحة أمام المؤمنين لسلوكها إنما هناك وسائل عديدة متاحة لهم ،يسعهم الاختيار من بينها ما هو أكثر ملائمة لأحوالهم وأكبر قدرة على تحقيق أهدافهم .

ثالثا: إنه لو وجدت وسيلة أخرى غير القتال تحقق المطلوب فالواجب اللجوء إليها والأخذ بها دون غبرها.

رابعا: إن الإسلام لم يجعل سياسة الصدام القتالي والصراع العسكري هو السياسة اللازم إتباعها دون غيرها ، بل انه أتاح لأتباعه انتهاج سياسات عديدة تندرج من التعاون الى التنسيق إلى التحالف إلى المسالمة إلى الدفع ، وجعل لهم الحق في تبني أي منها دون أن يلحقهم ذم أو إثم وفي هذا المعنى يقول الشيخ البوطي : وذلك لأن الجهاد في أصل مشروعيته غير ناظر الى هجوم ولا الى دفاع انما هو يستهدف إعلاء كلمة الله تعالى وإشادة صرح المجتمع الإسلامي السليم وإقامة دولة الله في الأرض ، فايا كانت الوسيلة المتعينة الى ذلك وجب إتباعها . وقد تكون الوسيلة لظروف ما المسالمة وبث النصيحة والتعليم والإرشاد عندئذ لا يفسر الجهاد إلا بذلك . وقد تكون الوسيلة لظرف آخر الحرب الدفاعية مع النصح والإرشاد والتوجيه فهدا هو الجهاد المشروع حينئذ .

وقد تكون الوسيلة المتعينة لظروف أخرى الحرب الهجومية فهي عندئذ ذروة الجهاد وأشرفه وإنما يقدر الظرف ويعين الوسيلة ويحددها الحاكم

المسلم المتبصر الواعي المخلص لله ورسوله ولعامة المسلمين.

وهذا يعني أن جميع هذه الوسائل الثلاثة مشروعة في تحقيق الجهاد على أن لا يطبق منها إلا ما تقتضيه المصلحة الأمنية التى يقدرها الحاكم المخلص وتبادل التطبيق ليس من النسخ في شئ" ا.هـ .

ثالثا: غايات الجهاد النبيلة :

مقاصد القتال في شريعة الله عديدة و منذ عرفت البشرية الحروب والنزاعات وهي تضع لنفسها أهدافا وغايات من ورائها ، وصحيح أن بعض هذه الأهداف والغايات كانت في مجملها نبيلة سامية ولكن بعضها الآخر - وهو الكثير الغالب- كان مجرد انعكاس لنزعة الشر في الإنسان ؛ فالحروب تنشب في بعض الأحيان دفاعا عن حق أو دفاعا عن عرض، أو نصرة لمظلوم ، أو إجارة لمستضعف ، أو شهامة ومروءة ، أو أنفة وكرامة ، ولكنها في أحيان كثيرة تكون مجرد إشباع لنزعات الإنسان الذميمة ورغباته الدنيئة فى حب التملك والسلطة ء أو لقهر الناس واستضعافهم ء أو حسدا وطمعا ، أو فسادا أو جورا.

ـ جاء الإسلام ليبطل كل هذا العدوان والعبث وليلغي كل هدف رخيص غير جدير بإراقة دماء هذا المخلوق المكرم، وليجعل أهداف الحرب والقتال منحصرة في هدف واحد مجمل هو بمثابة الأصل الجامع لكل غاية نبيلة (وقاتلوهم حق لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله) "الأنفال : ه"

وذلك مقصد الجهاد في الإسلام وهو مقصد أرفع من أن يكون مجرد هدف أرضى ومبتغى أسمى من أن يكون مجرد مطلوب بشري بل هو عبادة وطاعة وتوجه لله وحده (فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو فى سبيل

الله) .

ذلك ما حصر فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم الجهاد المقبول اذ سئل (الرجل يقاتل شجاعة ، الرجل يقاتل حمية ، و الرجل يقاتل ليرى مكانه، فأى ذلك في سبيل الله؟.

فخرج بذلك كل الغايات الدنيوية وانحصر الأمر في غايه كليه تتفرع منها غايات فرعيه . غايه أساسيه هي : في سبيل الله ، ولتكون كلمة الله هي العليا .

فالقتال هنا يكون فى سبيل إعلاء القيم التى أمر الله بها كى ينتظم أمر الكون على هداها ، تلك القيم التى اشار اليها القران الكريم فى قوله تعالى : (ان الله يأمر بالعدل والإحسان و إيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) "النحل : ٩٠"

ـ الجهاد : تحرير لا استعباد .. حرية لا إكراه:

والجهاد بهذه النظرة يمثل حركة لتحرير الإرادة الإنسانية من كل ضروب العبودية لبنى الإنسان ، وقد كان الصحابي ربعي بن عامر فقيها حين قال : (إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة الناس الى عبادة الله الواحد القهار ومن جور الأديان الى سعة الدنيا والآخرة) ذلك هو الإعلان الاسلامى عن مقاصد هذا الدين وعن مقصد الجهاد فيه.

ـــ فالجهاد هو لتحرير الناس وإطلاق إرادتهم لا استعبادهم وسحق شخصياتهم، وهو لإقامة العدل بين الناس واحترام كرامتهم لا لظلمهم والجور عليهم، والجهاد جاء لتتسع الحياة وتنفرج وتتهيأ لهم قنطرة الى الآخرة لا لينصرفوا إلى ملذاتها وينعموا فى شهواتها وهم عن الآخرة معرضون ، وإنما

ليقيم لهم التوازن الدقيق بين طموحاتهم فى الدنيا ومتطلبات الآخرة على ضوء قوله تعالى : (وابتغ فيما ءاتك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين) " القصص : ٧٧" .

ـ فالحرب شرعت فى الإسلام ؛ لتأمين الحرية التى كفلها الله لعباده ، فلا قبول بالعدوان على كيانات البشر وحقوقهم ، ولا قبول بوصايا تفرض عليهم من قبل أنظمة أو ممالك أو اتجاهات ، حتى الإسلام نفسه لا يقبل بان يكون عقيدة قهرية تفرض على الناس فرضا ، ولكن يريدهم فقط ان يختاروا بينه وبين غيره بكامل حرياتهم ومحض إرادتهم فان اختاروا العيش فى دولته لزمهم ان يحترموا قانونها ، وذلك حق تحتفظ به كل القوانين لنفسها .

ـ ان مهمة القتال فى الإسلام ان يزيل كل أشكال العبودية لغير الله ، أن يكسر كل القيود المفروضة على عقول الناس، أن لا يبقى لجهة سلطان على الخلق يحول بينهم وبين اختيارهم لما تهديهم إليه عقولهم وتطمئن إليه قلوبهم فلا شك ان الدعوة الى الله ، والدخول فى الإسلام لا يكون بالقهر والإكراه وإنما يكون طريقها الحجة والبرهان ، ولو ترك الناس الإسلام يسرى بمحجته وبرهانه وخلو بينه وبين العقول ولم يضعوا فى طريقه العراقيل ، لما سفكت قطرة واحدة من الدم فى سبيل الله ، ولغزت دعوته العقول، ونفذت إلى القلوب ، والإسلام يسلك فى هذه الدعوة السلمية الاقناعية كل طريق تواضع عليه الناس فى دعوتهم الى المبادئ ودفاعهم عنها وبيانهم لمزاياها من خطب فى المجتمعات ومن كتب يرسلها الى الملوك والرؤساء ومن وفود يتلقاهم ويحسن وفادتهم ويبين لهم ما يدعو اليه .

فالإسلام شرع الجهاد فى إطار قوله تعالى : (لا إكراه فى الدين) "البقرة ٢٥٦" ، تلك الآية التى انزلها الله تعالى عندما جاء بعض الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليجبروا أبناءهم الذين تهودوا على اعتناق الإسلام فنزل الوحي بان : (لا إكراه فى الدين)؛ لان الإسلام حركة تحرير لا إكراه ، وظل هذا هو القانون الحاكم للمسلمين فى فتوحاتهم ، وظل بقاء أرباب الديانات المختلفة فى ديار الإسلام منذ دخوله إليها والى اليوم شاهد على حقيقة الجهاد وغايته النبيلة .

رابعا: الجهاد حكم شرعى :

جعل الاسلام من الجهاد ذروة السنام فى بنيانه ، لما يلعبه من دور حيوى فى حفظ البنيان من هجمات الأعداء وما يقوم به من تحرير إرادة الناس للاطلاع على الإسلام بحرية دون إكراه .

والجهاد فى سبيل الله بذلك يكمل منظومة الأحكام الشرعية التى جاء بها الإسلام لمعالجة الواقع وتنظيم الحياه .

وكون الجهاد حكما شرعيا يرتب على الفور نتيجة هامة الا وهى ان ضوابطه ومجالاته وأحكامه التفصيلية وأسبابه وشروطه وموانعه سوف تؤخذ من مشكاه الوحى لا من دواوين الحماسة او ثورات النفوس او هوى القلوب العابثة ، وكون الجهاد حكما شرعيا يعنى عدة أمور :

١ـ ان الجهاد من حيث الأصل يندرج فى فروض الكفايات التى اذا ما قام بها بعض المسلمين سقط الإثم عن غيرهم ، وهذا امر يتسق مع رؤية الإسلام فى توظيف قدرات الامة وهو ما اكده قوله تعالى : (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا

رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) "التوبة ١٢٢".

ومن العجب اننا نجد اليوم من يوجب ليس الجهاد فحسب على كل الأمة الإسلامية من الصين شرقا حتى المغرب غربا بل يجعل التدريب على القتال والأسلحة فرض عين على كل مسلم ومسلمة .

٢ـ أن الجهاد فى سبيل الله قد يتعين فى مواضع حددها العلماء ، وهذه المواضع هى :

مداهمة العدو لديار الإسلام ، وعلى من شهد القتال، وعند التحام الصفوف ، وعلى من يعينه الإمام للقتال ، ولاستنقاذ أسرى المسلمين.

٣ـ إن الجهاد فى سبيل الله كحكم تتطرق إليه الأحكام التكليفية الخمسة : أعنى بها الوجوب ، والاستحباب، والحرمة، والكراهة، والجواز؛ وذلك سواء كان الجهاد يقع فى جهاد الدفع او الطلب او كان فرضا عينيا او كفائيا .

والذى يحدد ذلك مدى توفر الأوصاف الشرعية التى علق الله على توفرها انفاذ الجهاد ، ومدى تحقق المصالح المرجوة من وراء إنفاذه .

٤ـ ان القول بإنفاذ الجهاد يستوجب توفر عدة أمور هى : السبب الشرعي المبيح له الشروط الشرعية المتطلبة لإنفاذه، وانتفاء الموانع التى تمنع منه ، وغياب اى من هذه الأوصاف يمنع من إنفاذ الجهاد ويخرجه من الوجوب وقد يدخله فى عداد الممنوعات .

٥ـ إن الجهاد فى سبيل الله تنطبق عليه القاعدة الشرعية التى تقرر : (كما شرع الله الأحكام شرع مبطلاتها وروافعها) . فحكم الجهاد شرع فى مواضع وجعل له روافع ترفعه ، وذلك مثل عقد الذمة يرفع حكم جهاد من عقدها من اهل الكتاب مع المسلمين .

٦ـ إن أحكام الجهاد التفصيلية تتنوع بتنوع أصناف الذين أباح الإسلام قتالهم فلا يصح معاملة كل الخصوم معاملة الكفار رغم وجود فارق بينهم وبين الكفار ولذلك فان الشريعة جعلت أحكاما متميزة لكل صنف من هذه الأصناف ، ومن هنا نجد كتب الفقه تعقد فصولا لقتال المشركين و قتال المرتديين وقتال اهل الكتاب وقتال البغاة .... إلخ.

٧ـ إن الجهاد فى سبيل الله يرتبط ارتباطا جوهريا بأمرين هامين هما :

أـ القدرة على إنفاذه وهو ما يوجب التأكد من توفرها لان إهمال ذلك لا يعنى سوى الدخول فى مغامرات تدفع ثمنها الأمة وأبناؤها دون طائل من ورائها .

ب ـ تحقيق المصالح المعتبرة شرعا ودرء المفاسد القائمة والمتوقعة ، والمصالح المقصودة هنا ليست المصالح الشخصية حتى لو كانت سامية ـ كنيل الشهادة ـ انما هى المصالح الجماعية للأمة والتى لا يصح إضاعتها او تعريضها للخطر للحصول على مصلحة لبعض الإفراد ولو بالاستشهاد الذى قد تخلفه مفاسد تؤثر سلبا على حاضر ومستقبل الأمة بأسرها .

وبالنظر للدلالات السابقة سندرك ان تنزيل أحكام الجهاد الشرعية على الواقع المعاش لابد ان يسند لأهل العلم والاجتهاد ،اذا ما أردنا إنفاذا صحيحا للجهاد يحقق المصالح ويدرا المفاسد ويحقق الرضوان والقبول للمجاهدين من رب العالمين .

خامسا: الجهاد تضحية و فداء و إيثار للآخرة و لمصالح الدين :

أحسب ان اقتران حقيقة الجهاد بالفداء والتضحية أمر لا يحتاج الى مزيد من شرح او كثير تدليل ، فليس هناك ما هو أغلى من النفس والمال والجهد والوقت عند البشر ، وهى أمور يقدمها المجاهد بكل رضى وترحاب و

إصرار فى سبيل الله وهذه التضحية تعكس إيمانا عميقا بمنهج الإسلام وإيثارا للآخرة وانتصارا على النفس والهوى والشيطان وذلك الانتصار فى تلك المعركة مع النفس بمثابة المقدمة الضرورية اللازمة للإقدام على خوض القتال فى ساحات الوغى لدحر الأعداء .

وإذا كان الجهاد قرينا للتضحية فليس معنى هذا أنها تضحيات من جنس المقامرات أو المغامرات، او تنطوي على التغرير بالأرواح دون رجاء خير او الوصول لمصلحة ، لان مفهوم التضحية الذى يقدمه لنا الجهاد فى الإسلام يرتبط بحسابات المصالح الكلية والقدرات الذاتية فهى تضحيات هادفة وتنطلق من حسابات صائبة .

ـ وإذا كان من ينتدب نفسه للجهاد قد آثر مصلحتة الأخروية على مصالحه الدنيوية فهو أيضا يؤثر عند إقدامه على تلك التضحية المصلحة الكلية المتعلقة بأمته ووطنه على مصالحه الذاتية ورغباته الشخصية فلا تضحية بغير هدف، ومن ثم فلا جهاد فى غير ميدان .

وإذا كان المنطق الغالب على كثير من الناس عند الاختيار ووقت الأزمات : نفسى نفسى ، فمنطق المجاهد هو امتى امتى ، وشانه شان هذا الشاب المجاهد الذى حمل على العدو وهو ينشد:

أحسن بمولاك سعيد ظنا هذا الذى كنت له تمنى

تنحى يا حور الجنان عنا لا فيك قاتلنا ولا قتلنا

لكن الى سيــدنا اشتــقنا قد علم السر وما أعلنا

ثم حمل وهو يقول:

قد كنت أرجو ورجائي لم يخب أن لا يضـــيع اليـــوم كدى والتعب

يامن ملأ تلك القصور باللع لـولاك مـا طـاب ومـا طـاب الطرب

ثم حمل على صف العدو فقاتل حتى قتل، وهو فى ذلك يسير على خطى عبد الله بن رواحه الصحابي الجليل الذى اقبل على القتال و هو يرتجز

أقسـمت يـا نفسـى لتنـزلن لتنـــــــــزلن او لتكرهن

قـد اجلـب النـاس وشـدوا الرنـه مـالي أراك تكـرهين الجنة

يـا حبـذا الجنـة واقتـــــرابها طيبـة وبـــــــارد شرابها

يـا نفس إن لـم تقتلـي تمـــوتى هذه حمـام المـوت قد صليت

وما تمنيتي فقد اعطيـــــــتى إن تفعلي فعلاهـــما هديت

سادسا : الجهـــاد عدل ورحمــة وسماحة.

جاءت أحكام الجهاد فى سبيل الله وغاياته ترجمة لقيم العدل والرحمة والتسامح فى تزاوج فريد بديع رغم ان الحروب عنوانها الغلظة والقسوة وقلما تخلو من البغى و العدوان .

جاءت تلك الأحكام منطلقة من قوله تعالى (اعدلوا هو اقرب للتقوى) "المائدة ٨" . ومن قول النبى صلى الله عليه وسلم (من لا يرحم الناس لا يرحمه الله عز وجل) .

ومن عدل الإسلام ورحمته ان يجعل الجهاد فى مقابلة كيد المعتدين ، قال تعالى : (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلوكم ولا تعتدوا .. إن الله لا يحب المعتدين) "البقرة ١٩٠" ومن عدل الإسلام ورحمته ان يجعل الجهاد نصرة للمستضعفين والمظلومين ، قال تعالى : (وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) "النساء: ٧٥" .

ومن عدل الإسلام ورحمته ان يكون الجهاد فيه لقطع الفتنة ... قال تعالى : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين)" البقرة: ١٩٣" .

وكم كان الإسلام عادلا حين اشترط أبلاغ دعوة الإسلام الى الخصوم قبل ان

تبدأ المنازلة .

وكم كان الإسلام رحيما عندما منع قصد النساء والأطفال بالقتال ، وعندما حرم على أتباعه قتل أصحاب الصوامع و الحرث و الشيوخ والزمنى، ونهى عن المثلة وان يقتل الرجل أباه .

ومن سماحة الإسلام ان لا يكره أحدا من خصومه على اعتناقه بل يتركهم أحرارا وما يعتقدون و ما يدينون.

ومن سماحته العفو عند المقدرة والصفح عند الغلبة ، وهذا العدل وتلك الرحمة وهذا التسامح هو الذى دفع احد المستشرقين الى القول : ان المسلمين وحدهم هم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم و روح التسامح نحو أتباع الأديان الأخرى ، وأنهم مع امتشاقهم الحسام نشرا لدينهم تركوا من لم يرغبوا فيه أحرارا فى التمسك بتعاليمهم الدينية. أ . هـ

واذا كنا فى هذا المقام لا نسعى لاستقصاء تلك الأحكام التفصيلية التى ترجمت قيم العدل والرحمة والتسامح الى حقيقة واقعية فإننا نكتفي بذكر وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كان يقول لهم : (انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ، ولا تقتلوا شيخا فانيا ، ولا طفلا، ولا صغيرا، ولا امرأة، ولا تغلوا ، وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا ان الله يحب المحسنين) أ . هـ

الكون بين نموذجين : جهد الرحمة و حروب القسوة :

نعم.. جاء الإسلام بجهاد كله رحمة وعدل وترجمه رسول الأمين - عليه الصلاة والسلام - واقعا معاشا وصار منهجا متبعا توارثه كل من سار على هديه واخذ بسنته الشريفة ومن ثم حفلت صفحات التاريخ بالنماذج العديدة

التـى عرفـت حقيقـة الجهـاد والتزمـت بـه فـى وقـت كـان غيـرهم لا يـرى فـى الحرب الا البطش والقسوة ، ومن هنـا صـار المشـهد الكـونى امـام نمـوذجين ؛ نموذج الجهاد الرحيم، واخر للجهاد بلا خلق او ضمير .

ولعل فى ذكر امثلة لكل نموذج مـا يوضـح لنـا بعضـا مـن معـانى الجهـاد التـى نبحث عنها ونبغى تسليط الضوء عليها.

ـ امثلة من مدرسة الجهاد الرحيم :

ولنقف مع موقفين عظيمين لقائدين مسلمين تربوا فى مدرسة الجهـاد الـرحيم ، وساروا على هدى معلمهم العظيم ورسولهم الكريم :

ـ فلنقف أولا مع صلاح الدين الايوبى وقد نصره الله علـى الصـليبين ودان لـه بيت المقدس وصار تحت سيطرته بكل من يعج بهم من الصـليبين ... فمـاذا فعل ؟

لم يفكر صلاح الدين فى الانتقام ولـو فعل مـا لامـه احد ولـم يفكـر فـى الإذلال ولو فعل ما فوجئ احد .

لكن المفاجأة كانت فيما صنع مـع اكثـر مـن مائـة ألـف صـليبي .... فقد أعطـى لهم السلطان الأمان على أنفسهم وأموالهم .

وسمح لهم بالخروج مقابل مبلغ يسير يدفعه المفتدرون خيرة .

وأعطـاهم أربعـين يومـا مهلـة للخـروج مـن بيـت المقـدس فخـرج منـه اربـع وثمـانون الفـا، ولحقـوا ببنـى جلـدتهم فـى مدينـة صـور وعكـا وصـيدا وأرسـل السلطان معهم ن يحميهم .

أطلق السلطان كثيرا من فقراء الإفرنـج ومـن غيـر فديـة، وأدى شقيـقه الملـك العادل الفدية عن ألفى رجل منهم، ومن عجيب الأقدار ان قصـد بعـض هـؤلاء

الفقراء الصليبين الى إنطاكية فأبى أميرها الصليبى قبولهم فهاموا على وجوههم حتى آواهم المسلمون ، اما من ذهب منهم الى طرابلس التى كان يسيطر عليها الصليبيون اللاتين فقد ابو قبولهم ، ولم يكتفوا بذلك بل سرقوا أمتعتهم التى منحها لهم المسلمون .

ثم كانت وقفة السلطان صلاح الدين الرحيمة بنساء الصليبين حين اجتمعن معه وتوسلن اليه قائلات : (نحن إما زوجات او أمهات او بنات من اسر و من قتل من الفرسان و الجنود و لا عائل لنا و لا مأوى) .. وبكين وتأثر السلطان فأمر بإطلاق الأسرى من رجالهن ، اما اللواتي مات أولياؤهن فقد منحن مالا كثيرا وسمح لهؤلاء جميعا والذين من عليهم بالانصراف فانصرفوا وهم يلهجون بالثناء عليه أينما ساروا .

فهل هناك رحمة أعظم من هذه ؟! وهل هناك إعلاء للكرامة الإنسانية مثل هذا ؟!

ـ ولنقف وقفة أخرى مع السلطان العثماني محمد الفاتح ، وقد فتح الله عليه مدينة القسطنطينية فى عام ١٤٥٣ م، وقد دخل كنيسة أيا صوفيا التى لجأ إليها رجال الكنيسة و اعتصموا بها فقابلهم مؤكدا حمايته لهم وطالبا من النصارى من أهل المدينة ـ الذين فزعوا إليها العودة إلى منازلهم امنين ، ثم أمر بجمع كل اثأر القديسين التى نهبت يوم الفتح وسلمها الى الكنائس والأديرة وترك لهم الحرية فى أتباع كنائسهم و قوانينهم المالية وتقاليدهم المتعلقة بأحوالهم الشخصية وكل ما يتعلق بحرياتهم الدينية ، ثم جمع السلطان رؤساء الكنائس لينتخبوا بطريكا عليهم فاختاروا من يدعى جورج سكولاريوس ، وثبت السلطان هذا الانتخاب واحتفل بتثبيته بنفس الابهه التى

كانت تتم فى أيام ملوك الروم ، ومنحه السلطان حق الحكم فى القضايا المدنية والجنائية بكافة أنواعها المختصة بطائفته، وعين معه فى ذلك مجلسا مشكلا من اكبر موظفي الكنيسة و أعطى هذا الحق للمطارنة والقساوسة فى مختلف ولايات الدولة .

ولا عجب من تلكم الرحمة ، ولا غرابة من منطق السلطان صلاح الدين أو السلطان محمد الفاتح فكلاهما قد تشرب نقش في قلبه وتشرب ضميره بصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى قالها لأهل مكة بعد ما فتحها وصاروا فى قبضته وهم الذين آذوه وطردوه من بلده وحاربوه ، وهاهم يسألونه : ما انت فاعل بنا ؟ فقال قولته الخالدة : (اذهبوا فانتم الطلقاء) .

نعم لقد تشرب هؤلاء من هدى النبى الكريم الذى كان ينهى عن قصد قتل النساء والأطفال والشيوخ و الرهبان و الحراث و الزمنى، و يأمر بالوفاء بالعهد والحفاظ على الذمة وأهلها فكيف بعد ذلك لا يكون جهادهم جهاد رحمة ؟!

أمثلة من مدارس الحرب القاسية الغاشمة :

وإذا بدأنا باليهود لهالنا حجم القسوة والغلظة التى تملأ نفوسهم تجاه غيرهم ، فهم فى ظنهم شعب الله المختار وتعاليمهم تقول : لن نترك حيا اى شيئا يتنفس (سفر التثنية) الآية "١٦٠ - ١٦١" ، الآن اقتل كل ذكر بين الصغار (سفر الأعداء).

وطالما الأمر كذلك فلا غرو أن تأتى إجابات الحاخامات على سائليهم على هذا النحو الذى نجده فى إجابة الحاخام الاسرائيلى شمعون وايزر عندما سأله جندى اسرائيلى : هل من الجائز قتل العرب العزل من السلاح والنساء

والأطفال ؟ وهل نعامل العرب مثل العماليق ؟ اى نقتلهم حتى نستأصل ذكراهم فى الأرض استنادا الى ما جاء فى سفر التثنية (ولتمح ذكرى العماليق من تحت السماء) .

ورد الحاخام على الجندى برسالة جاء فيها : (سأنقل لك بعض أقوال الحكماء وأفسرها وذلك، ان الحرب لدى غير اليهود ذات قوانين خاصة مثل قوانين لعب كرة القدم او السلة، لكن الحرب عندنا كما يقول حكماؤنا : لا تعنى بالنسبة لنا لعبة بل ضرورة حيوية ، واستنادا الى هذه المقاييس فقط ينبغى التفكير حول كيفية القيام بها؛ و لذلك أقول لك : أفضل غير اليهودى اقتلوه وأفضل الافاعى هشموا رأسها .

وتلك هى قاعدة طهارة السلاح) .

وعندما قرأ الجندي رد الحاخام أرسل إليه مرة أخرى يقول له : لقد تلقيت رسالتك وفهمتها على النحو التالى : لا يسمح لى فى زمن الحرب بقتل كل عربى او امرأة أصادفها وحسب ، بل من واجبي القيام بذلك ، وعن نفسي فان من واجبي قتلهم حتى اذا نجمت عن ذلك مشكلات مع القانون العسكري ، واعتقد ان فكرة طهارة السلاح يجب تعميمها على المعاهد التعليمية ، وأرجو ان تنشط ايها الحاخام فى شرح هذه الفكرة كى يعرف جنودنا موقف أسلافهم بوضوح كامل!!

ـ ولربما كانت قاعدة "طهارة السلاح" تلك وراء قيام الجيش الاسرائيلى بدفن آلاف الأسرى المصريين وهم أحياء فى صحراء سيناء إبان حرب ١٩٦٧ ، ولعلها كانت فى قلب وضمير كل من شارك من الصهاينة فى المذابح وما أكثرها للفلسطينيين بدء من دير ياسين ١٩٤٨ ومرورا بمذبحة صبرا وشاتيلا

في ١٤ سبتمبر ١٩٨٢ وانتهاء بالمذابح اليومية للفلسطينيين التى تجرى على قدم وساق لأبطال الانتفاضة الفلسطينية الباسلة رجالا ونساء وشيوخا وأطفالا، وهذا المنهج هو ذاته الذى يصوره الشاعر الصهيونى شيرنجوفسكى فى قصيدته التى يقول فيها: اعطى سيفي لانتصر على اعدائى سوف اقطع كحاصد واجتز جذورهم وسوف أشهر يدي اليمنى القوية واذبح اعدائى واجعل سيفى يشرب فخورا من دمهم وستحسم خطواتي فى دماء الصرعى وتدوس قدماي على شعر رؤوسهم وسأقطع من يمين واحصد من شمال.

ـ واذا انتقلنا الى مدرسة اخرى من مدارس الحرب الغاشمة فسوف نجد فيها أهوالا قلما نجد لها نظير ، فالحروب الصليبية تمثل نموذجا يكشف حقيقة هذه المدرسة ونقلب صفحاتها لنعرف كم كانت هذه الحروب غاشمة وكم كانت قلوبهم قاسيه.

ففى القرون الوسطى عندما زحف الصليبيون الى بيت المقدس وقفوا أمام بلدة معرة النعمان بسوريا وحاصروها حتى اضطر أهلها للاستسلام بعد أن أخذوا من رؤساء الحملة عهودا مؤكدة بالمحافظة على النفوس والأموال والأعراض فما كادوا يدخلونها حتى ارتكبوا من الفظائع ما تشيب له الولدان ، وقدر بعض المؤرخين الإفرنج الذين كانوا فى هذه الحملة عدد الذين قتلوهم بين رجال و نساء وأطفال بمائة الف.

ثم تابعوا سيرهم الى بيت المقدس (وهي مدينة القدس الحالية) وشددوا الحصار عليها فراى اهلها انهم مغلوبون لا محالة فطلبوا من قائد الحملة الصليبية الامان على أنفسهم و أموالهم فأعطاهم راية يرفعونها على المسجد الأقصى ويلجأون إليه امنين على كل شئ ، ولكن ما ان دخلوا المدينة المقدسة

حتى شنوا حملة القتل والذبح والإبادة على الرجال والنساء والأطفال وعلى كل من دخل المسجد المقدس من الشيوخ والأئمة والعباد والزهاد فسالت الدماء حتى ارتفعت الى ركبة الفارس وكانت الشوارع تعج بالجماجم المحطمة والأذرع والأرجل المقطعة والأجسام الآدمية المشوهة ، ويذكر المؤرخون ان عدد الذين ذبحوا فى داخل المسجد الاقصى فقط وصل الى سبعين الفا ولا ينكر مؤرخو الفرنجة هذه الفظائع وكثير منهم يتحدثون عنها فخورين .

ـ وإذا ما انتقلنا الى اشبيلية بالأندلس فى عام ١٠٠٢ م فسنجد إعلانا كنسيا بطرد المسلمين أعداء الله من اشبيلية و ما حولها اذا لم يقبلوا المعمودية وبشرط ألا يذهبوا الى طريق يؤدى الى بلاد إسلامية ، ومن يخالف ذلك فجزاؤه القتل .

ــ ولا ينسى المسلمون فى روسيا ما فعله القيصر ايفان الرهيب و حرب الإبادة الشاملة التى شنها ضدهم، فقد فرض عليهم ان يتنصروا او يتركوا أوطانهم .

ـ وإذا ما انتقانا الى روسيا الشيوعية فحدث و لا حرج عن أبشع الممارسات وأخس الوسائل منذ عهد ستالين ومرورا بالتدخل السوفيتي فى أفغانستان ١٩٧٩م وانتهاء بما يحدث اليوم فى الشيشان .

ـ وإذا ما انتقلنا الى إقليم كوسوفو ذى الأغلبية المسلمة الألبانية والذى تعرض لحملة صربية لتغيير طابعه الاسلامى لوجدنا أهوالا يشيب لها الولدان ، ولنتعرف على جانب منها من خلال بعض الشهادات الاتيه :

أ ـ فقد قال ممثل منظمة الأمن والتعاون (ساندى بليت) انهم جمعوا ١٤٠٠

شهادة حول انتهاكات حقوق الإنسان ابتداء من قتل المدنيين وعمليات التعذيب، واغتصاب النساء ، وطرد السكان، ونهب الأموال ،وتدمير الممتلكات والسرقات.

ب ـ وكشف خافير سولانا الأمين العام لحلف الناتو عن وجود ادلة مثيرة عن قيام هؤلاء الصرب بجريمة التطهير العرقى بمعنى أنهم كانوا يقتلون السكان الألبان المسلمين على قدم وساق .

ج ـ وقال وزير الخارجية البريطانى روبين كوك: إن القوات الصربية كانت تستخدم الألبان المسلمين كدروع بشرية عندما هاجمتهم طائرات خلف الناتو .

د ـ وقال وزير الدفاع الامريكى وليم كوهين في مقابلة مع شبكة (سي بي سي الأمريكية) إن نحو ١٠٠ ألف رجل فى سن القتال من ألبان مسلمي كوسوفا فقدوا فى هذا الإقليم وربما قتلتهم القوات اليوغسلافية .

هـ ـ قال المتحدث باسم حلف الناتو السابق الإشارة إليه : ان هناك (٧٤١) طفلا يبحثون عن عائلاتهم وفى مقابل ذلك هناك (٦٣٨٢) من الأزواج الذين يبحثون عن أولادهم .

ـ وماذا عن أمريكا اليوم :

يحلو للساسة الأمريكيين الحديث عن الحرب العادلة والحرب النظيفة والمهمة المقدسة فى نشر الحرية والديمقراطية عبر استخدام كافة الوسائل بما فيها الأسلحة الذكية .

وصدق البعض هذه المقولات البراقة إلى أن أيقظهم دوى ام القنابل والصواريخ الذكية توماهوك و كروز وهى تصب على رؤوس المدنيين صبا فى أفغانستان والعراق و البقية تأتى.

لكن المتتبع للتيارات الفكرية فى أمريكا اليوم واتجاهات المجموعة الحاكمة بواشنطون لن يجد كبير عناء فى اكتشاف حقيقة تلك الشعارات ، واكتشاف أننا أمام الحرب القذرة الظالمة ، ولسنا أمام أسلحة ذكية ، بل أمام أسلحة غبية مدمرة ولسنا أمام التبشير بالحرية بل أمام التخطيط للهيمنة الأمريكية على العالم بما يحقق المصالح الأمريكية لأجل غير مسمى .

ـ فالحرب الأمريكية اليوم استباقية ووقائية، وهى ايضا للحفاظ على المصالح الأمريكية ولو كان ذلك خارج الحدود وهى ايضا لفرض نموذج القيم الأمريكية على كل العالم .. ولنستمع للرئيس الامريكى فى خطابه حالة الاتحاد وهو يقول : (ان أمريكا ستكون القائد فى هذه الحرب بالدفاع عن الحرية والعدالة ؛ لأنهما الحق والصواب الثابتان لكل الناس فى كل مكان)

بل ان من هؤلاء الساسة والمثقفين من يروجون لمفاهيم الحرب العادلة كأمر تلتزم به الولايات المتحدة الأمريكية فى حروبها .

فقد جاء الاتى فى خطاب موجهه الى الأمة الأمريكية والمجتمع الدولى من ستين أكاديميا أمريكيا بارزا على رأسهم (فوكوياما) صاحب كتاب (نهاية التاريخ) وصموئيل هينتنجتون صاحب كتاب (صدام الحضارات) بعنوان من اجل ماذا نحارب ... خطاب الى أمريكا

الحرب العادلة يجب ان تتصف بأمرين :

١ ـ ان تشنها سلطة شرعية .

٢ ـ ان لا تستهدف غير المحاربين الا فى ظروف قد يعد امتدادها لإيذاء بعض المدنيين بغير قصد مسبق مبررا أخلاقيا.أ.هـ

واذا ما طبقنا هذه الضوابط على ما حدث فى العراق فلنا ان نتساءل أين

الشرعية فى هذه الحرب كى تصير حربا عادلة ؟ أين هى ونحن نرى الرفض الشعبى العالمى والرفض الدولى ممثلا فى مجلس الأمن والأمم المتحدة ؟ ثم أين الالتزام

بعدم إيذاء المدنيين والطائرات B52 تفخر أمريكا أنها تلقي بين الفينة والفينة قنبلة وزنها عدة أطنان على أحياء بغداد السكنية.

وهذا الصنيع غير مستغرب من دولة غاصت أقدامها فى حرب فيتنام ومن قبل قصفت مدينتي هيروشيما ونجازاكى اليابانيتين بالقنابل النووية ابان الحرب العالمية الثانية ، تلك الحرب التى وضعت أوزارها عام ١٩٤٥ م مخلفة وراءها ٥٥

مليون نسمة من الضحايا كان بينهم ٣ مليونا من المدنيين وهو رقم فاق عدد ضحايا الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٧م) الذى بلغ ٣٧ مليونا من الجرحى والقتلى والمفقودين .

وكل هذا دفع الكاتب الامريكى ناعوم تشوفسكى الى ان يقول : (اذا رصدنا أفعال أمريكا فى العالم منذ الحرب العالمية الثانية وحتى اليوم لتبين لنا انها اكبر دولة إرهابية فى العالم .) أ . هـ

تلك سطور من صفحات الحرب القاسية المخزية استعرضناها لعلها تكشف عن الفارق الشاسع بين مفهوم الجهاد فى الإسلام وعند غيره من الامم عندما يوضع كل منهما على محك الممارسة فكما يقال :

فالضدد يظهر حسنه الضد وبضدها تتميز الأشياء

ـ عود على بدأ :

وهكذا تتبلور من خلال الاستعراض السابق حقيقة الجهاد كحقيقة مركبة من أبعاد متعددة متكاملة لا يصح اختزالها فى احد ابعادها .

فالحقيقة الغائبة للجهاد تقدم لنا جهادا شاملا على كل المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدعوية وبالطبع العسكرية .

وهى تعنى ايضا ان الجهاد ما هو الا وسيلة من الوسائل العديدة التى أبانها المنهج الاسلامى لبلوغ غايته النبيلة .

وهى تبين كذلك ارتباط الجهاد وجودا وعدما بالمصالح المأمولة والقدرات المملوكة فى ظل الالتزام بالأحكام الشرعية المنظمة له والمقاصد الإسلامية الكلية الموجهه له .

تقدم لنا الحقيقة الغائبة للجهاد مفهوما للجهاد يمزج بين العدل والرحمة والسماحة ليلتزم به كل من انتصر على النفس قبل دحر الخصم واختار طريق التضحية والفداء لمنازلة الأعداء .... تلك هى حقيقة الجهاد الغائبة نتمنى ان تصيرالآن جلية واضحة .